1 . أوضاع مصر قبيل الحملة الفرنسية :

شهدت مصر هجوما استعماريا عليها قبل بدأ ق19م بعامين وجاء ذلك في شكل حملة حربية بقيادة الجنرال **بونابرت**، و لقد كان الحكم العثماني المملوكي الموجود في ذلك الوقت في مصر، فمنذ عام 1517م أصابه الضعف وقل التوازن بين عناصره وزاد نفوذ المماليك وزادت سيطرتهم على البلاد، وتمكنوا من الانفراد بالسلطة في مصر في النصف الثاني من ق18م في عهد **علي بك الكبير**[1]، فكانت عودة السلطة إلى الدولة العثمانية في عهد مساعده وحليفه **محمد بك أبو الذهب** يمثل العودة الرسمية لهذه السلطة أكثر من عودتها من الناحية الفعلية وظهر ذلك بوضوح في الفترة التالية والتي عرفت بأسماء **إبراهيم بك ومراد بك***، واضطرت الدولة العثمانية من إرسال حملة **حسين باشا قبدوان** على مصر، لكبح جماح المماليك في 1785م لكن هذه الحملة لم تؤدي إلى نتيجة فعلية[2].

وعند مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر لم يكن في وادي النيل آن ذاك أكثر من ثلاثة[3]

---

[1] **عبد الرحمان الجبرتي، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس** ، تح: عبد الرزاق عيسى، عماد أحمد هلال، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع ؛ ج1 ؛ ط1 ؛ 1998م)، ص 12.

[2] **جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ،(الإسكندرية: الأزارطة ؛ د.ط؛ 1999م)، ص 246.

[3] **جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث،من الفتح الإسلامي إلى الآن** ،(القاهرة: مكتبة مدبولي ؛ ج2؛ د.ط ؛ 1999م)، ص 86.

***إبراهيم بك ومراد بك،** عند قدوم الفرنسيين إلى مصر كانا على الأحكام، فكان الأول شيخ البلد والثاني أمير الحج، كان إبراهيم بك مشهورا بالغنى والطمع والاحتيال،أما مراد بك كان يفوقه إقداما وحزما وفيه كرم وسخاء،وكلاهما لم يؤيدا سلطتهما إلا بالقتل والنهب والاحتيال واتفقا على اقتسام إيراد البلاد. للمزيد أنظر : **جرجي زيدان، المصدر السابق،** ص 86.

ملايين من السكان يتألفون من ثلاثة طوائف كبرى، فأولا سكان مصر الأصليون وهم الأقباط الذين لم يزيدوا عن مائتي ألف شخص، وثانيا العرب وهم الفاتحين لها ومن ثم الأتراك ومنهم المماليك، إضافة إلى تواجد طوائف أخرى فيها.

وأعتبر الباشا هو الحاكم الذي ترسله الآستانة لتأييد سلطة السلطان وكان يقيم في القاهرة على قمة الجبل، فلم تكن لهه فائدة هناك إلا بأن يثبت سلطة السلطان على مصر مع قيامه بإلقاء خطبة له في الصلاة وبأن تضرب النقود باسمه[1].

أما بالنسبة للمماليك فهم أخلاطا من الأتراك والشراكسة والكرج وكانت جميع ثروات البلاد وإدارتها تحت أيديهم إلا أنهم قلما يتوارثون الحكم، وهذا لقلة حكمتهم ودرايتهم وحسن سياستهم لذلك كانت أحكامهم عرضة للفساد وداعية للخلل[2]. ومقر المماليك كان في بهو كبير في قلعة الجبل فيها اصطبلات كبيرة لخيولهم ومخازن لأسلحتهم ومعداتهم. ومساكنهم الخاصة أغلبها في حي قيسون وحي بركة الفيل ودرب الحبانية، واعتبرت من أجمل ما يكون من البناء مرصفة بالرخام والفسيفساء وفيها الرياش من المخمل المزركش بالحرير، وفي بعضها حدائق غناء تزينها نساء جميلات[3].

---

[1] **جرجي زيدان، المرجع السابق**، ص 86.

[2] **عبد الرحمان الجبرتي، المصدر السابق**، ص 12.

[3] **جرجي زيدان، المرجع السابق**، ص 86.

أما الجنود فلم يزد عددهم على الثمانمائة أو الألف من المماليك الأشداء كان أكثرهم من الفرسان والمشاة قليلون وقلما يكونون على شيء من الفنون الحربية، فقد يتفق أحدهم أن يتمرن على الحركات العسكرية أما الجماعات فلا يعرفون شيئا عن المربعات أو الخطوط الحربية وإنما كانوا يتقنون الفروسية.

وبالنسبة للعرب فمنهم من كان من فئة العلماء والفقهاء، وهم في الأغلبية من عائلات قديمة متصلة بالصحابة ومن أصحاب البيت، يعيشون أغلبهم في الترف والرخاء، ومحترمين من طرف الأهالي احتراما دينيا وأدبيا، أما سياسيا لم يكن لهم نفوذ بسبب استبداد المماليك.

ولقد اعتبرت التجارة رائجة في مصر، فأصحابها كانوا من ثقات العرب وأصحاب الأمانة، ففي القاهرة كانت المراكب ترسو حاملة البضائع على اختلاف الأنواع من شتى أقطار العالم، وكان البيع فيها بالإجمال وبالمفردات. أما جباية جمع الخراج كان المكلفون بها من فئتي المسلمون والأقباط، فمن المسلمين كان هناك من عندهم تقاويم الأرض وسجلات الأملاك، ويمتازون كونهم محافظين لا يتزوجون إلا من بنات أكفائهم، لهم ثروة وعقارات واسعة يضرب بها المثل.

أما الأقباط اقتصر عملهم على ضبط الحسابات في القبض والصرف، وكانت مساكنهم في[1]

[1] **جرجي زيدان، المرجع السابق**، ص ص 86 ، 87.

القاهرة شمالي المدينة وغربها فيما عرف بباب المقس، وأما أصحاب المصارف والمداينون فكانوا من اليهود وهم عبارة عن عائلات كثيرة تقيم في بيت واحد بحارة تدعى حارة اليهود وكانوا يعانون اضطهادا شديد من طرف المماليك.

وفيما يتعلق بالأجانب في القاهرة كان أكثرهم من الفرنسيين، يلبسون اللباس العربي ويتكلمون باللغة العربية، وكانوا يتزوجون مع المسيحيين من السوريين ويقيمون في درب الجنينة.

أما وادي النيل كان فيه جماعة كبيرة من السوريين يقيمون في السواحل والمدن الكبيرة ويتعاملون في تجارتهم مع بضائع أوروبا أو السودان من العاج والريش والصمغ إضافة إلى بضائع بلاد أخرى. وفي ذالك الوقت كانت علاقة مصر بالدول الأجنبية قاصرة على التجارة، فالبندقية "فنيس" كان لها علاقة قوية معها من سائر الدول، حيث تواجد لها قنصل مقيم في الإسكندرية، إضافة على أنه كان لها علاقات أخرى مع تجار فرنسا وانجلترا[1].

لذلك فإن هذا الالتقاء بين قوات الجنرال **بونابرت** وقوات المماليك في عام 1798م هو مواجهة بين مرحلتين مختلفين من مراحل الحضارة، المرحلة التي وصلتها أوروبا والمرحلة التي كانت لا تزال تعيش فيها مصر في شمال شرق القارة الإفريقية[2].

---

[1] **جرجي زيدان، المرجع السابق**، ص 87.

[2] **جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق**، ص ص245 ، 246.

2 . دوافع وأهداف الحملة الفرنسية على مصر:

لقد كانت فرنسا تنظر إلى مصر كهدف يحقق أغراض بعيدة أكبر من مجرد احتلالها، فعملت خلال القرن الثامن عشر الميلادي على إرسال بعثات تجارية إلى مصر، كما عقدت معها معاهدات تجارية مع حكامها المماليك، ورغم أن هدف هذه البعثات تجارية إلا أنها كانت تعمل لأغراض أبعد من ذالك، تمثلت في دراسة الوسائل التي يمكنها أن تحقق غزو الفرنسيين لمصر، وإعادة الاتصال القديم الذي كان بين البحرين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، فقد ظهرت أهمية البحر الأحمر كطريق هام للتجارة الشرقية الأوروبية يمكنه منافسة طريق رأس الرجاء الصالح الذي قد احتكرته وسيطرت عليه بريطانيا سنة 1795م، وجعلت هذا الطريق البحري متعذرا على السفن الفرنسية ولهذا سيطرت رغبة قوية على الفرنسيين في أن ينتقموا من بريطانيا وهذا بضربها في مصادر قوتها في ممتلكاتها الموجودة في الشرق وانتزاع تجارتها الشرقية منها[1]، واتضحت نيات فرنسا بعد خطاب كان من القنصل الفرنسي في مصر **ماجلون** حيث عبر فيه عن أهمية مصر في تصريح له في 1795م، في وجوب احتلالها والتحكم في ميناء السويس لحماية مصالحها السياسية والاقتصادية، وسيطرتها على مناطقها وعلى التجارة فيها وإيجاد طرق للمواصلات العالمية عبر الأراضي المصرية[2].

---

[1] **جميلة العيسى، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر (1213هـ .1286هـ/1798م .1869م)** ،(الرياض:مكتبة عبيكان ؛ ط1 ؛ 2001م)، ص 43.

[2] **Chantal Grell**, **L'Égypte Imaginaire de la Renaissance A Champollion**, (Paris : Presses L'université ; 2001), P 122 .

كما كتب مذكرة خاصة إلى حكومة الإدارة في 14 فبراير 1798م جاء فيها ما يلي: (لقد كانت مصر ولاية من ولايات الجمهورية الرومانية ولا بد من أن تصبح ولاية من ولايات الجمهورية الفرنسية، لقد كان فتح الرومان لمصر عصر انحطاط لهذا البلد الجميل أما فتح الفرنسيين له فسوف يكون عصر ازدهار)[1].

وبالرغم من أن هناك علاقة ودية تربط بين فرنسا والدولة العثمانية وأن مصر هي جزء من الدولة العثمانية، إلا أن فرنسا قد وجدت في سيادة الدولة العثمانية على مصر كونها لا تعدوا كونها اسمية[2]، فلقد كانت تحكم من طرف المماليك وكانوا يسيؤن معاملة رعايا وتجار فرنسا، فشرح **ماجلون** من خلال تقاريره عن عبث حكامها المماليك بالمصالح الفرنسية وينصح حكومته فيها بضرورة الغزو[3]، كما ساهمت كتابات رجال السياسة والرحالة الفرنسيين التي وصفت الحالة الفاسدة في مصر وسهولة الاستيلاء عليها، في دفع حكومة الإدارة على أن تغير خططها وتتبنى مشروع غزو مصر، على الرغم من سياسة فرنسا الخارجية القاضية بالتعاون مع الدولة العثمانية ومحافظتها على كيانها لمواجهة أطماع روسيا والنمسا عليها[4].

---

[1] **هنري لورنس وآخرون، الحملة الفرنسية في مصر،بونابرت والإسلام** ،تر:بشير السباعي ،(القاهرة: سيناء للنشر ؛ ط1؛ 1995م)، ص ص 34 ، 35.

[2] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص 45.

[3] **Chantal Grell, op cit** , P 122 .

[4] **محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة** ،(بيروت: دار النفائس ؛ ط2 ؛ 2008م)، ص 307 .

لقد كانت مصر البلد الذي شخصت إليه أبصار الدولتين البريطانية والفرنسية، فسعت انجلترا لتأمين سلامة طريق الهند إلى إقامة علاقات طيبة مع حكام مصر المماليك، وعقدت في عام 1794م معاهدة مع حكام مصر **مراد بك وإبراهيم بك**، منحت بموجبها امتيازات تجارية هامة في مصر والبحر الأحمر، وكان لتوقيع هذه المعاهدة الأثر السيئ بين أوساط الحكومة الفرنسية ولا سيما أن قنصلها في القاهرة قد فشل في كسب ود المماليك، فحاول حكام فرنسا عقد معاهدة مع حكام مصر تمنح التجارة الفرنسية ضمانات كافية، إلا أنها لم تفلح، وفي الوقت نفسه كان السلطان **سليم الثالث** يرفض الموافقة على الاتفاقية التي عقدها المماليك مع الانجليز.

كما أن احتلال مصر قد راودت الأوساط الفرنسية مرارا لأسباب وأهداف أخرى تمثلت في :

. رغبة فرنسا في أن تجعل من البحر المتوسط بحيرة فرنسية تسيطر منه على شواطئها وتضرب بذلك الأسطول البريطاني في الشرق الأدنى.

. رغبة **نابليون** في إقامة دولة شرقية تصبح قاعدة قوية لغزو الهند[1]، وهذا لما تبين من أهمية مصر للتجارة الهندية فقد قال **تاليران** في خطابه إلى **نابليون** في 1797/09/13م : (...إن مصر يوصفها طريقا تجاريا ستعطينا تجارة الهند لأن المعول في التجارة على الوقت[2]

---

[1] **محمد سهيل طقوش، مرجع سابق**، ص 308.

[2] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والمعاصر** ،(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية الأزارطة ؛ د.ط؛ 2000م)، ص 118.

وبالاستيلاء على مصر نستطيع أن نقوم بخمس رحلات مقابل ثلاث بالطريق المعتاد حول رأس الرجاء الصالح...)[1].

. مكانة مصر الحربية الاقتصادية في الشرق، فمكانتها الحربية لأنها قلب المنطقة العربية ومفتاحها الاستراتيجي وأهم قاعدة لضرب النفوذ البريطاني في الهند لأنها تصل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر بواسطة منطقة قناة السويس، هذا يشكل عاملا أساسيا في ميزان الحروب.

أما مكانتها الاقتصادية، لأنها سوق تجارية تتوسط ثلاث قارات بالإضافة إلى ثروتها الطبيعية الناجمة عن خصب تربتها.

. عهد الحكومة الفرنسية إلى **نابليون** بقيادة حملة ضد غريمتها التقليدية بريطانيا غير أن **نابليون** رأى في الحملة صعوبة كبرى لأنها ستكبد فرنسا خسائر كبرى دون الوصول إلى نتيجة. فاقترح **نابليون** ضرب انجلترا بطريقة غير مباشرة بتوجيه الحملة إلى مصر وضرب الأسطول البريطاني والتخفيف من الأهمية البحرية.

. خُيل **لنابليون** أنه يستطيع إقامة دولة في مصر تكون نقطة انطلاق للشرق العربي[2].

---

[1] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المرجع السابق**، ص 118.

[2] **زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث** ،(بيروت:دار النهضة العربية ؛ د.ط؛ د.ت)، ص ص 327 ، 328.

. إسهام الرحالون الفرنسيون الذين زاروا بلاد المشرق ومصر خصوصا في إحياء فكرة فتح ميادين جديدة للاستعمار في الشرق حيث تعوض فرنسا خسائرها في الغرب، ومن أهم هؤلاء البارون **دي توت** الذي قدم لحكومته في عام 1776م عن حالة الدولة العثمانية الضعيفة المفككة[1].

بالإضافة إلى طموح فرنسا بإقامة إمبراطورية فرنسية في الشرق إرضاء لطموحات الطبقة البرجوازية فيها والتي تسللت إلى الحكم في أعقاب الثورة وإرضاء الكنيسة التي وان كانت الثورة قد وجهت لها بعض الضربات بشكل اضعف دورها داخل فرنسا عن ذي قبل إلا أنها ظلت لها تأثيرها الواسع والفعال على كثير من أبناء الشعب الفرنسي، فضلا عن الدور التي كانت تقوم به في تدعيم النفوذ الفرنسي في المستعمرات وكذلك في الشرق الإسلامي[2].

وبذلك لا تخرج الأسباب الحقيقية للحملة دون الحدود على الصراع الانجليزي الفرنسي وتوهم فرنسا بأن انجلترا كانت تعمل على تثبيت أقدامها في مصر والقضاء على التجارة الفرنسية في هذه المنطقة[3].

---

[1] **إسماعيل أحمد ياغي، العالم في التاريخ الحديث** ،(الرياض:مكتبة العبيكان ؛ ط1 ؛ 1997م)، ص 204.

[2] **علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** ،(دار الكتاب الحديث ؛ د.ط؛ 2008م)، ص 392.

[3] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المرجع السابق**، ص 118.

فوجدت حكومة الإدارة نفسها مضطرة إلى التخلي عن مشروع النزول في الأراضي الانجليزية، والذي اعتبره العسكريون بأنه أمر غير عملي، من شأنه أن تدخل فيه اسبانيا ويعقد الوضع الشائك بالفعل، كما أنه يهدد بإشعال الحرب القارية، أما مشروع فتح مصر هو مشروع بالغ الجاذبية وبوسعه أن يجبر انجلترا على عقد صلح يعترف بهيمنتها على القارة الأوروبية[1]. كما أن انتصارات فرنسا على ايطاليا سنة 1797م وانسحاب بريطانيا من البحر الأبيض المتوسط واحتمائه بجبل طارق قد شجع فرنسا على الغزو[2].

فانتهز أعداء الإسلام تدهور الدولة العثمانية واستغلت فرنسا ذلك الضعف بإرسال حملتها المشهورة بقيادة القائد **نابليون بونابرت** فكانت تلك الحملة صدى للثورة الفرنسية ومتأثرة بأفكارها الثورية[3] .

واصطحب نابليون معه مجموعة كبيرة من العلماء الفرنسيين في حملته هذه بلغ عددهم 175 عالما في مختلف فروع العلوم والثقافة وخاصة المصورين والرسامين والنحاسين والموسيقيين، وقد تأثرت بهم المساحة الثقافية المصرية ولاسيما بعد تشكيل المجمع العلمي المصري[4].

---

[1] **هنري لورنس وآخرون، المرجع السابق**، ص 35.

[2] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص 45.

[3] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص 392.

[4] **Moustafa fahmy**, **La Révolution de L'industrie en Égypte et ses conséquences Sociales au 19eme Siècle(1800_1850)** ,(Netherlands :Leiden,E,J,Brill ; 1954), P 3.

وهو عدد يزيد عن أضعاف العدد الذي اعتاد أن يصحبه في حملاته الأوروبية، وقد تأثر فكر هؤلاء العلماء في الغالب بالدور الفرنسي الذي يسعى لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية وتأثرهم في الفترة السابقة لقدومهم إلى الشرق بأفكار "**روسو** و**فولتر** و**منتسكيو**" مفكرو الثورة الفرنسية من خلال ما رفعوه من شعارات "الحرية الإخاء والمساواة" وهي أفكار واتجاهات تعادي في مجموعها الدين والأفكار المستمدة منه بشكل عام[1].

. ومن هنا كانت أهداف الحملة خليطا من أهداف اقتصادية وتوسعية وسياسية ودينية، أو بالأحرى غزو عسكري وفكري ولهذا اصطحب نابليون معه هذا الحشد الهائل من العلماء.

3 . بداية وسير الحملة الفرنسية على مصر:

لقد علم المستعمرين بأحوال المسلمين في مصر من خلال رسائلهم المتعددة، وهذا بما قام به الرحالة الفرنسيون "الجواسيس" الذين أكثروا من رحلاتهم خلال القرن السابع عشر والثامن عشر، وكانوا على صلة بالعناصر القبطية المسيحية واليهودية وبعض عناصر المماليك في مصر، ودرسوا كافة الجوانب السياسية والاقتصادية الفكرية والعسكرية بأدق التفاصيل ومما يدلنا على ذلك حرصهم الشديد على ترويج أفكارهم فترة بقاء الحملة وحتى بعد رحيلها، وزرعهم للمحافل الماسونية اليهودية في مصر التي أصبحت على صلة وثيقة **بمحمد علي باشا**[2]

---

[1] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص 392.

[2] **نفسه** : 393.

فيما بعد، لقد كانت خطوات الحملة الفرنسية مدروسة بعناية شديدة قبل القدوم ولم تكن مفاجأة، وحتى اكتشاف حجر الرشيد الأثرى وفك رموز اللغة الهيروغليفية للمصرين القدماء فانه إذا كان مفاجأة فإن العناية بهذا الحدث والترويج له وما تبعه من فك رموز لغة الفراعنة واستخدامه كان أمرا مدروسا بعناية كذلك، وكان يدور في إطار من الأهداف الكلية لهذه الحملة المعلن منها وغير المعلن. ويشير المؤرخ المسلم "عبد الرحمن الجبرتي" الذي عاصر هذه الحملة على هذه الأمور في معرض حديثه عن المعهد العلمي الذي أنشأه الفرنسيون في حارة "الناصرية" فيقول: (وإذا حضر إليهم بعض المسلمين ممن يريدون الفرجة لا يمنعونه الدخول إلى أعز أماكنهم ويتلقونه بالبشاشة والضحك وإظهار السرور بمجيئه إليهم خصوصا إذا راو فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر في المعارف والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء وبتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم مما يحير الأفكار).

كما أن الفرنسيون كانوا يدركون أن سر قوة المسلمين يتمثل في جانبين هامين الأول هو تمسكهم بالدين والثاني في وحدة بلادهم في حكومة إسلامية مطاعة ومهابة ولقد أكد رجال الحملة الفرنسية إدراكهم هذين العاملين حين أعلن نابليون وبعض رجاله اعتناقهم للإسلام واحترام تعاليمه، وزواجهم من مسلمات كي يتخذوا من ذلك ذريعة للتقرب للعوام أملا في الاستقرار وقد بدا ذلك واضحا في المنشور الأول الذي أعلنه نابليون على شعب مصر[1]

[1] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص ص 393 ، 394.

كما سعى رجال الحملة إلى زعزعة الدين في نفوس الشيوخ والعلماء المسلمين بعرض نماذج من الحضارة الغربية عليهم، أما العامل الثاني وهو الرامي إلى تمزيق وحدتهم فقد بدا واضحا في سعي الفرنسيين لتجنيد قوة مسلحة من مسيحي مصر قادها **المعلم يعقوب** لمساعدة الحملة في ضرب الثورة الشعبية التي قادها العلماء والوقوف أمام قوات الخلافة العثمانية الإسلامية[1] .

نجح الفرنسيون في استثارة العناصر القبطية المسيحية على معاونة الحملة بمختلف الوسائل، واعتبر بعض الكتاب المسيحيين أن الفائدة التي جنتها مصر خلال سنوات الحملة الثلاث أكثر من القرون الطويلة للحكم العثماني، وقد أشاد البعض من هؤلاء العملاء بدور الخسة والنذالة التي قام بها المعلم **يعقوب** في تعاونه مع الفرنسيين ضد العثمانيين[2]، وكان هذا الموقف من النصارى معاديا لرغبة الأغلبية المسلمة بنفس القدر ما يمكن إدراكه من اتجاه أغلب المفكرين النصارى العدائي للأغلبية المسلمة في مصر والذي يبدو جليا في تأييدهم لخيانة بلادهم طالما هي ضد الوجود الإسلامي وحتى بمفهوم الوحدة الوطنية الذين يسعون للتمسح به، فإن "المعلم يعقوب" يعد من الذين خانوا بلادهم، وعلى أية حال كانت هذه الحادثة بداية لما عرف في التاريخ المصري باسم "الفتنة الطائفية"[3].

---

[1] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص 394.

[2] **عبد الرحمان الجبرتي، المصدر السابق**، ص 12.

[3] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص 394.

لقد قامت الأقليات غير المسلمة من النصارى واليونان بمعاونة الاحتلال الفرنسي، وقد علق على ذلك الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشناوي: (أسرفت بعض الطوائف غير الإسلامية في مصر في تأييد الفرنسيين إسرافا وصل إلى حد تكوين فرقة عسكرية من أبناء هذه الطوائف.

وقام الضباط والجنود الفرنسيون بتدريبهم على النظم العسكرية الأوربية وتزويدهم بالأسلحة الحديثة، ثم ألحقت هذه الفرق بجيش الاحتلال الفرنسي لسد النقص في عدده، نتيجة المعارك التي خاضها في مصر والشام وإخماد الثورات الشعبية، وفتك الطاعون وغيره من الأمراض الوبائية بالجنود الفرنسيين، وقد نظر الشعب الفرنسي إلى هذه الفرق على أنها أدوات لدعم الاحتلال الفرنسي لمصر وتزعم هذه الفرق المعلم "يعقوب حنا"، إذ كون فرقا عسكرية من الأقباط، وكانوا يرتدون زيا مشابها لزي الجنود الفرنسيين وقلده **كليبر** قيادة هذه الفرقة ومنحه رتبة "أغا" ثم رقى على عهد **مينو** إلى رتبة لواء "جنرال" ومنحه رسميا لقب القائد العام للفيالق القبطية بالجيش الفرنسي).

إلا انه بالرغم من المقاومة الشديدة والحركة الجهادية بقيادة علماء الأزهر، قد استطاعت القوات الفرنسية من احتلال مصر[1].

[1] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص ص 394 ، 395.

ففي 5 مارس 1798م بدأت الاستعجالات لتجهيز الحملة المزعم إرسالها إلى مصر، فجهز جيشا مؤلفا من 36 ألف مقاتل و 30 سفينة عليها عشرة آلاف جندي بالإضافة إلى 400 مركب حمولة و122 عالما بمختلف التخصصات[1]، وانتهت الاستعدادات العسكرية خلال شهر نيسان 1798م، فأصدرت حكومة الإدارة قرارا سريا مؤلفا من مقدمة وست مواد، وقد حددت فيها مهمة "جيش الشرق"، وعهدة بقيادته إلى "نابليون بونابرت" وطلبت منه:

1. فتح مصر والاستيلاء عليها، وطرد الانجليز من ممتلكاتها في الشرق.

2. القضاء على المراكز الانجليزية التجارية في البحر الأحمر وبسط سلطان فرنسا عليها، وقطع طريق السويس عليهم.

3. يشق قناة تصل البحرين الأبيض المتوسط والأحمر.

4. العمل على تحسين أوضاع السكان.

5. المحافظة على علاقات الود والصداقة مع السلطان العثماني.

كما أصدرت قرارا آخر كلفت بموجبه "بونابرت" باحتلال جزيرة مالطة، وأرسلت في الوقت نفسه إلى القائد الفرنسي لأسطول المحيط الهندي، أن يرسل أكبر عدد من السفن إلى البحر الأحمر[2]

---

[1] **هاني خير أبو غضب، أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر ،**(الجزائر: وهران دار العزة والكرامة ؛ د.ط ؛ د.ت)، ص72.

[2] **محمد سهيل طقوش، المرجع السابق،** ص 309.

لمساعدة **نابليون** عند الحاجة. ولما كانت حكومة الإدارة تريد أن يظل الأمر سرا أمرت بأن تظل هذه الأوامر غير مطبوعة[1]، وبدأ الجيش يتجمع في الشواطئ الجنوبية تحت اسم الجناح الأيسر لجيش انجلترا تضليلا للعدو. لم يستعد نابليون لفتح مصر عسكريا فحسب بل استعد كذلك لفتحها فتحا علميا يتناسب مع ما وصل إليه العلم الفرنسي أواخر ق 18م لذلك قد قرر اصطحاب عدد من المستشرقين والعلماء والحرفيين، زد على ذلك أن بونابرت أدرك أن الدعاية هي السلاح الذي يكسب به فوطد أركانها بمطبعة حملها معه لتساعده فيما يرمي اليه[2].

في 19 ماي 1789م خرجت الحملة من ميناء طولون إلى[3] جزيرة مالطة فاستطاع احتلالها، ثم اتجهت الحملة صوب مصر، وقبل وصولها بيومين أذاع **نابليون** منشورا* مهما على جنده جاء فيه :(إنكم موشكون على فتح له آثار بعيدة المدى في حضارة العالم وتجارته، وستطعنون انجلترا طعنة تؤذيها لا محالة في أضعف مواطنها، انتظارا لليوم الذي تسدون إليها الطعنة القاتلة. ولن تنقضي على نزولنا البر أيام حتى نقضي على بكوات المماليك الذين [4]

---

[1] **محمد سهيل طقوش، المرجع السابق**، ص 309.

[2] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 205.

[3] **وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط** ،(الأردن:الأهلية ؛ ط2 ؛ 2011م)، ص 213.

[4] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المرجع السابق**، ص 118.

*المنشور كاملا أنظر: **عبد الرحمان الجبرتي، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس** ، تح: عبد الرزاق عيسى، عماد أحمد هلال، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع ؛ ج2 ؛ ط1 ؛ 1998م)، ص 588 ، 589.

لا يرعون غير التجارة الإنجليزية، والذين يظلمون تجارنا بمعاكساتهم، والذين يستبدون بأهل النيل البؤساء ... إن القوم الذين سنعيش معهم مسلمون، وعقيدتهم الأساسية هي، "لا اله إلا الله محمد رسول الله"، فلا تعارضوهم واسلكوا معهم كما سلكتم في الماضي مع اليهود والايطاليين واحترموا شيوخهم وأئمتهم كما احترمتم شيوخ اليهود وأساقفته المسيحيين ...)[1]. وفي 1 يوليو 1789م وصلت الجيوش الفرنسية أمام مدينة الإسكندرية واحتلها بالقوة[2]، ولما رسخت أقدام الفرنسيين في الإسكندرية، أمر بإحضار المطابع التي أحضرها معه والتي كانت تطبع باللغة الفرنسية واللغة اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية، وكتب فرمانات وطبعت بالعربية وأمر بتوزيعها على الديار المصرية وصورتها كاملة في (الملحق رقم 1)[3]. وأهم ما جاء في خطابه من هذا المنشور:(...أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت لهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمشككين إنني ما قصدت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم...). ثم ترك عند الإسكندرية القائد **كليبر** على رأس القوة الفرنسية التي نزلت فيها[4].

---

[1] **عمر عبد العزيز عمر،في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المرجع السابق**، ص ص 118 ، 119.

[2] **وديع أبو زيدون، المرجع السابق**، ص 213.

[3] **أمل بشور، حملة بونابرت إلى الشرق "مخطوطة نقولا الترك"** ،(طرابلس لبنان:جروس برس ؛ ط1؛ 1993م)، ص77.

[4] **سيف الدين الكاتب،إبراهيم حلمي الغوري، أطلس التاريخ الحديث** ،(دار الشرق العربي ؛ ج4 ؛ 2010م)، ص 106، أورد **هنري لورنس** المرافق للحملة نص الخطاب باللغتين الفرنسية والعربية ، أنظر:

Henry Laurens, L'expédition. D'Egypte, 1798 – 1801 ,(paris ; 1989), p p 75 , 77.

ومن ثم سار **نابليون** قاصدا مدينة القاهرة عن طريق الصحراء الممتدة غرب فرع الرشيد، فقابله "مراد بك" على رأس جيش المماليك عند مدينة "شبر" بالبحيرة في 13 يوليو وتمكن "نابليون" من هزيمته، وواصل السير حتى وصل إلى مدينة "أنبابة" مقابل القاهرة[1].

واشتبك الجيش الفرنسي بجيش المماليك مجددا بقيادة **مراد بك** و **إبراهيم بك** حيث أرسل **رينيه** لمطاردة قوات **إبراهيم بك** في الشرقية والجنرال **ديزيه** لمطاردة **مراد بك** في الصعيد، وحصلت بينهما معارك متفرقة أشهرها معركة الأهرام يوم 21 يوليو 1798م، إلا أن المقاومة المصرية هزمت أمام جيش **نابليون** الحديث ومدافعه الفتاكة[2]، وتمكن **مراد بك** من الفرار إلى بلاد الشام عن طريق سيناء[3]، وبعد احتلال القاهرة واصل نابليون احتلاله لبقية مدن مصر،غزة والرملة ويافا وقد حاول احتلال عكا ولكن يقظة أهلها بقيادة **أحمد باشا الجزار** حالت بين **نابليون** الصاليبي وبين ما يشتهي[4].

---

[1] **نقولا الترك** ، **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية** ، تح: ياسين سويد، (بيروت: دار الغرابي ؛ ط1 ؛ 1990م)، ص 22.

[2] **هاني خير أبو غضب، المرجع السابق**، ص 72.

[3] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 205.

[4] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص 396.

4 . ردود الفعل من الحملة:

أ . مصر :

لقد ادعى "نابليون" حين نزوله إلى الإسكندرية أنه محبا للإسلام وأنه صديق للخليفة العثماني وأنه يريد أن يبني مسجدا عظيما لا نظير له للمسلمين، وبأنه يريد الدخول في دين النبي المختار، وبأنه قد جاء لمصر لينقذها من ظلم المماليك، إضافة إلى تلك الأقاويل المعسولة التي لم تكن لتخدع الشعب المصري، فثاروا عليه واعتبروه مستعمرا وظالما، فقد أصيب نتيجة الدفاع عن الإسكندرية وحدها حين احتلال مصر نحو ثمانمائة قتيل وجريح، كما أن المقاومات الشعبية السنوسية لعبت دورا مهما في الفتك بجيش **نابليون**[1].

لقد كان الشعب المصري بكل طبقاته ضد الاستعمار الفرنسي ولم ينخدعوا بأقاويل **نابليون**، فقاوموه وثاروا عليه وكان الأزهر الشريف مقرا للمقاومة، واختلطت فيه أصوات المؤذنين وأصوات الداعين للثورة على الظالمين المغتصبين[2]. ففشلت سياسة **بونابرت** فشلا ذريعا في تحقيق أهدافه والدليل على ذلك المقاومة الشعبية التي قامت ضد فرنسا سواءا في الدلتا أو الصعيد المصري[3].

---

[1] **محمد أسعد طلس، تاريخ العرب** ،(بيروت:دار الأندلس ؛ مجلد1 ؛ ج8 ؛ ط3؛ د.ت)، ص 13 .

[2] **نفسه:** ص ص 14 ، 15.

[3] **إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق،** ص 209.

ومن ثم الثورة التي قام بها القاهريون في أكتوبر 1798م والتي عرفت بثورة القاهرة الأولى.

كان "بونابرت" وقت اندلاع الثورة خارج القاهرة فعاد إليها مسرعا ونصب المدافع على تلال المقطم لتعاون مدافع القلعة في إطلاق القنابل على حي الأزهر مركز الثورة وشعلتها المتأججة فهدمه وهدم كثيرا من أحيائه، حيث شرع الثوار في اليوم الثاني 22 أكتوبر من مهاجمة مقر القيادة الفرنسية العامة بحي الأزبكية حيث كان الجنود يهاجمون الجامع الأزهر ومن ثم دخلوه وهم يركبون الخيول ويسلبون ما فيه من ودائع وظلوا يحتلونه حتى ذهب وفد من مشايخه إلى بونابرت يطلبون منه الجلاء فكان ذلك نهاية للثورة التي دامت ثلاثة أيام[1].

اتضحت أكاذيب **نابليون** للشعب المصري عندما دخل الفرنسيون إلى الجامع الأزهر وحين نهبوه وقتلوا العلماء والمشايخ المعارضين للاحتلال، واستعمالهم القوة الوحشية لإخماد ثورة الأزهر بالمدافع وقصفهم الأزهر والأحياء الشعبية، فقتلوا الكثير دون تمييز بين شيخ وطفل وامرأة، كما كان رد فعل **نابليون** هو الانتقام من سكان القاهرة بالقيام بمصادرة الأراضي والممتلكات، وفرض الضرائب، وأحاط القاهرة وضواحيها بالحصون والقلاع والمعاقل[2].

---

[1] **إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق،** ص ص 209،210 للمزيد ثورة القاهرة أنظر: **عبد الرحمان الجبرتي، المصدر السابق،** ج1، ص 194 ـ 210.

[2] **جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب الحديث** ،(الأردن: دار الأمل ؛ ط1 ؛ 1991م)، ص 130.

ب . الدولة العثمانية :

كان الهجوم الفرنسي على مصر يعتبر أول هجوم صليبي على ولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، وعلى الفور أعلن السلطان **سليم الثالث*** الجهاد على الفرنسيين الصاليبيين 1213هـ/1798م واستجاب لدعوته المسلمون في الحجاز والشام وشمال إفريقيا، فمن الحجاز خرجت جموع من المسلمين بقيادة **محمد الكيلاني** ، يقول **الجبرتي** في حوادث شهر شعبان 1213هـ/8 يناير إلى 5 فبراير1799م : (لما وردت أخبار الفرنسيين إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية، انزعج أهل الحجاز وضجوا بالحرم، وأن هذا **الشيخ الكيلاني** صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم واجتمع نحو ستمائة من المجاهدين وركبوا البحر إلى القيصر مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه وكان مسلمو الحجاز خصوما أشد للجنرال **ديزيه** الذي عهد إليه **بونابرت** غزو الصعيد والقضاء على قوات الجهاد بقيادة **مراد بك**، وقد صمموا على الظفر بإحدى الحسنيين: الاستشهاد أو الانتصار، وتكونت منهم ومن مسلمي الوجه القبلي في مصر وخاصة عرب "هوارة" وأهالي النوبة، وقوات "مراد بك" جبهة حربية إسلامية في مواجهة جبهة حربية نصرانية كانت تتألف من القوات الفرنسية، النهرية والبرية[1]

---

[1] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص 396.

***سليم الثالث**، هو السلطان العثماني ولد في القسطنطينية سنة 1761م،أصبح سلطانا في 1789م، وقد عزل عن الحكم في 1807م،توفي سنة 1808م. للمزيد أنظر: **أمل بشور، المرجع السابق**، ص101.

والفيالق القبطية بقيادة **المعلم يعقوب يوحنا** في الجيش الفرنسي).

جـ . دول المغرب العربي:

. استجابة المهدي الدرناوي الليبي لنداء الجهاد ضد فرنسا:

لقد حركته الغيرة الإسلامية فقام بدعوة مسلمي شرق ليبيا إلى الجهاد في سبيل الله تعالى فأقبل عليه الناس أفواجا مثل قبائل أولاد علي والهنادى وغيرهم، كما انضم إليه سكان القرى التي مر بها وسار بهذه الجموع حتى بلغ "دمنهور" 1214هـ/أبريل 1799م، وكانت تعسكر بها حامية فرنسية أبادها المهدي عن بكرة أبيها، وكان الانتصار **الدرناوي** الليبي على الفرنسيين الكفار صدى كبير، مما دفع حاكم الإسكندرية العسكري الفرنسي الجنرال **مارمون** الذي أرسل نجدة مزودة بالمدفعية لتعقب المهدي ولكنها هزمت أيضا، فأرسل قوات أخرى من رشيد ودارت معركة **سنهور** وكانت من أشد المعارك هولا ومن أعنف الوقائع التي واجهها الفرنسيون في مصر، واستمر القتال سبع ساعات، انتهت بانتصار **المهدي الدرناوي** وانسحاب الفرنسيين إلى الرحمانية، وقيل أن **الدرناوي** ادعى المهدية[1].

---

[1] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص ص 396 ، 397.

***الداي مصطفى باشا**، هو من أشهر دايات الجزائر(1798.1805م)، له ناحية تدعى باسمه إلى اليوم في العاصمة الجزائرية حيث كان قصره وهو مقر بعثة مسيحية اليوم. للمزيد أنظر:**أحمد توفيق المدني**، **مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار ومحمد عثمان باشا** ،(وزارة المجاهدين ؛ طبعة خاصة ؛ مجلد 7 ؛ د.ت)، ص 76.

. موقف الجزائر وتونس من الحملة :

لقد عمل **نابليون** على محاربة الممالك بمصر مدعيا أنه فعل ذلك لمصلحة الدولة العثمانية، وهذا لإبعاد العثمانيين عن الميدان ليخلو له الجو في غزواته الشرقية، واستعمل للتفاوض في هذا الشأن مع الدولة العثمانية وزيره **طاليرند** فبذل الزير مجهودا جبارا لإقناعها بالحياد؛ وبعث بذلك المسمى **ديبوا تانفيل** إلى الجزائر لمفاوضة **الداي*** وإقناعه باتخاذ سياسة الحياد، فاقتنع **الداي** بذلك غير أن السلطان العثماني لم يرضه ذلك ولم يقتنع بوجهة نظر **الداي** وحمل **الداي** على إعلان الحرب ضد فرنسا، وقطع علاقاته معها بعد مناقشة طويلة جرت بين **الداي** ومبعوث السلطان حاول فيها **الداي** إقناعه برأيه فلم يصغ إليه، ويقال أن السبب الذي جعل **الداي** يكون في موقف التردد والتراخي تجاه أوامر استانبول في إعلان الحرب ضد فرنسا، هو أن **الداي** نفسه كان يوجد من بين الدائنين لفرنسا، وأنه كان أن قدم لها بضائع بمبلغ 300.000 ألف فرنك على سبيل القرض، فهو لذلك نراه يخشى عاقبته من الحرمان[1].

وأخذ السلطان العثماني يومئذ في بث موقف الحكومة تجاه حرب **نابليون** وأوعز إلى جميع ولاة وأمراء البلاد التابعة للإمبراطورية العثمانية ليقوموا بمهمة إشغال فرنسا عن هذه الحملة [2]

[1] **عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق**، 286.

[2] **أحمد توفيق المدني، المرجع السابق**، 76.

التي هي في الحقيقة ضد الشرق الإسلامي كله، فبالنسبة إلى تونس عصت أوامر السلطان ولم تعلن الحرب على فرنسا محافظة على ولائها لها[1]، أما **مصطفى باشا** فدعى يومئذ قنصل فرنسا إلى قصره وأخبره بمطالبة حكومة باريس بتأدية الدين المترتب عليها من طرف الجزائر، فامتنعت فرنسا عن إجابة مطالب **الداي** وحينئذ أعلنت الجزائر الحرب ضد فرنسا في 10 ديسمبر 1798م، وألقي القبض على السفير الفرنسي بالجزائر وعلى كامل جماعته في عنابة ووهران وأغلقت المراكز التجارية بالسواحل القالة وعنابة، كما حطم مركز القالة وأحرق ما كان فيه من أثاث وسجن جميع العملة الذين كانوا به وعددهم يومئذ يبلغ 98 عاملا، وجهزت الأساطيل الجزائرية تحت قيادة الرئيس **حميدو** فغزا بها سواحل فرنسا ورجع منها بمغانم وأسلاب[2]. فردت فرنسا على ذلك باعتقال **يعقوب باكري** و **سيمون أبو قابة** بباريس، إلى أن تم إطلاق سراح القنصل الفرنسي ورفاقه بالجزائر يوم 2 فيفري 1799م، وفي عام 1800م أرسل **نابليون** إلى الجزائر **ديبوا تانفيل** ليتفاوض مع **الداي** والديوان لإبرام صلح ولم يصل إلا بصعوبة نظرا للحصار الشديد الذي فرضته الأساطيل الانجليزية على الشواطئ الفرنسية، وفي 13 ماي قابل **الداي مصطفى باشا** وسلم له الرسالة، ونجح في عقد الهدنة[3]

---

[1] **أحمد توفيق المدني، المرجع السابق**، 76.

[2] **عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق**، 286.

[3] **يحى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا(1500.1830م)** ،(الجزائر:دار المعرفة ؛ د.ط ؛ 2009م)، ص 112.

غير محدودة الأجل بينهما يوم 19 جويلية 1800م مقابل دفع مليون فرنك **للداي**، وأمضى مع الديوان معاهدة في 30 سبتمبر 1800م لإطلاق سراح الأسرى الجزائريين[1].

ولكن ضغوطات الدولة العثمانية قد اضطرت الجزائر بأن تعلن الحرب على فرنسا في عام 1801م، وتبعتها تونس لنفس السبب إلا أنهم لم يستعملوا وسائل العنف ضد الرعايا والقناصل الفرنسيين[2].

وكان "نابليون" يحلم بمشروعه التوسعي على كل من الجزائر وتونس وطرابلس بهدف السيطرة على البحر المتوسط وضرب تجارة الإنجليز، وكانت ليبيا تجذبه أكثر لوقوعها على أبواب مصر، إلا أن "نابليون"لم يكن ليفتح على نفسه جبهة جديدة للحرب[3].

د . بريطانيا :

بعد وصول أنباء توجه الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة **نابليون** وأنها احتلت جزيرة مالطة في البحر الأبيض المتوسط تأكد لبريطانيا نية فرنسا للتوجه إلى الشرق لقتال البريطانيين في ممتلكاتهم ومناطق نفوذهم، مما جعل الحكومة البريطانية تسارع لاتخاذ خطوات فاعلة وسريعة بهدف المحافظة على مصالحها ومناطق نفوذها وطرق مواصلاتها[4].

---

[1] **يحى بوعزيز، المرجع السابق**، ص112.

[2] **يحى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر** ،(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ؛ ج2 ؛ ط2 ؛ 2009م)، ص 105.

[3] **محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية(1500-1830م)** ،(الجزائر :مطبعة دحلب ؛ د.ط ؛ د.ت)، ص 55.

[4] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص 52.

فصدرت أوامر في مايو 1798م للقوات البريطانية بقيادة الأميرال **نيلسون** بالتوجه إلى الإسكندرية ثم إلى الأناضول لينسق التعاون بينهم وبين السلطات العثمانية لموجهة الغزو الفرنسي وحين وصل **نيلسون** إلى الإسكندرية في يونيو 1798م أرسل إلى حاكمها السيد **محمد كريم** ينبهه إلى احتمال قدوم لاحتلال البلاد، لكن حاكم الإسكندرية ظن أنها مكيدة ورفض تقديم المساعدة لهم ومنعهم من النزول في الإسكندرية ، فاتجه **نيلسون** بقواته إلى الموانئ في الشام ليتمون منها استعدادا لمعاودة حصار شواطئ مصر[1].

لقد كانت بريطانيا تتابع الأطماع الفرنسية في مصر وغيرها بدقة متناهية، وعندما تحركت الحملة الفرنسية ووصلت إلى مصر[2]، أرسلت أسطول بقيادة الأميرال **نيلسون** لتعقب الحملة الفرنسية وفاجأ **نيلسون** الأسطول الفرنسي وهو رابض في خليج أبي قير بعد أن أنزل قوات الحملة في الإسكندرية واشتبك معه في معركة أدت إلى إغراقه في أول أوت 1798م وقد كان لهذه المعركة عدة نتائج أهمها[3]:

. كبدت البحرية الفرنسية خسائر جسيمة قضت على كل آمال في إمكان إحياءها فظل[4]

---

[1] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص 52.

[2] **علي محمد الصلابي، المرجع السابق**، ص 398.

[3] **عزت حسن أفندي الدارندلي، ضيانامة: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني** ، تح ، تر: جمال سعيد عبد الغني (القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب ؛ د.ط ؛ 1999م)، ص 22.

[4] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 208.

الانجليز أصحاب السيطرة على البحر.

. فرض الانجليز الحصار على الشواطئ المصرية المطلة على البحر المتوسط مما أصبح من المعتذر تماما على فرنسا إرسال النجدات .

. اضطر الفرنسيون في مصر على الاعتماد كليا في تدبير شؤونهم وسد حاجاتهم في البلاد على مواردها الداخلية وحدها، وكان لذلك أكبر الأثر في إتباع "بونابرت" لما عرف "بالسياسة الإسلامية الوطنية" التي كان هدفها توفير أسباب الحياة للفرنسيين وترويض المصريين على قبول الحكم الأجنبي، حيث كانت السياسية الفرنسية تعتمد على ثلاث دعائم:

أ . التظاهر باحترام الدين الإسلامي والمحافظة على تقاليد أهل البلاد وعاداتهم الدينية.

ب . محاولة انتزاع المصريين من الخلافة العثمانية.

جـ . إنشاء حكومة وطنية من عقلاء وأفاضل المصريين.[1]

[1] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 208.

5 . التحالفات الدولية مع الدولة العثمانية ضد العدوان الفرنسي :

كانت هزيمة فرنسا أمام بريطانيا في موقعة "أبي قير" قد شجعت الدولة العثمانية "الباب العالي" على مهاجمة الحملة الفرنسية في مصر فأعلن الحرب على فرنسا في 11 سبتمبر 1798م وعمل الاستعدادات اللازمة لمحاربتهم، وأصدر أوامره بإلقاء القبض على القائم بأعمال السفارة الفرنسية وجميع رعايا فرنسا في العاصمة العثمانية وإلقائهم في السجون. ولقد شجع تحطم الأسطول الفرنسي العثمانيين على التحالف مع بريطانيا والتي رأت هي كذالك بأن التحالف مع العثمانيين لإخراج الفرنسيين من مصر أمرا ضروريا لإبعاد خطرهم من منطقة البحر الأحمر، وخشية من تفاقم الوضع ضد التواجد الفرنسي في المنطقة، حرصت فرنسا على بذل مساعي دبلوماسية ودية مع الدولة العثمانية التي لها سيادة على مصر، وهذا من أجل أن توضح أهداف الحملة على مصر بأنها جاءت من أجل معاقبة المماليك، وأنه لا يوجد أية أهداف عدوانية ضد الدولة العثمانية. كما أن السفير الفرنسي في الأستانة "روفان" قد بذل جهدا كبيرا من أجل إفساد المساعي البريطانية والروسية مع الباب العالي ضد النشاط الفرنسي في أراضي الدولة العثمانية ووجود سفيرهما في العاصمة العثمانية لإفساد العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية، وقد حاولت الحكومة الفرنسية جاهدة بأن تبقي العلاقات ودية بينها[1]

[1] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص 55.

وبين الحكومة العثمانية. لكن الدولة العثمانية لم تقتنع بأي من هذه الحجج وفسرت العدوان الفرنسي على مصر بأنه إعلان حرب عليها[1]، فلم تلبث أن دخلت مع انجلترا من جهة وروسيا من جهة أخرى في مفاوضات أسفرت عن عقد محالفة دفاعية هجومية لمدة ثماني سنوات بين روسيا وتركيا 25 ديسمبر 1798م، وقد دعت الدولتان الدول الأوروبية الأخرى كبريطانيا والنمسا وبروسيا وغيرهما للانضمام إلى هذه المعاهدة لحفظ التوازن الدولي.

وعقد ت محالفة مع انجلترا في 5 جانفي 1799م جاء فيها انضمام بريطانيا إلى عقد التحالف الدولي العثماني الروسي، بهذا مهد عقد هاتين المعاهدتين لتأليف المحالفة ضد فرنسا والعمل على طردها من المنطقة[2]، وتعهدت بريطانيا بضمان استقلال الدولة العثمانية وسلامة أراضيها دون أي استثناء، واستنادا لهذه المعاهدة قامت بريطانيا بإرسال قواتها إلى مصر، وهذا لإدراك بريطانيا مدى أهمية الاشتراك العسكري مع الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين على مصالحها، وقد تم بعقد هاتين المعاهدتين تكوين المحالفة الدولية ضد فرنسا إذ سرعان ما انضمت إليهم كل من مملكة نابولي وحكومة النمسا إلى الحلفاء بمقتضى معاهدة 1799م وأعلنت كل منهما الحرب ضد فرنسا[3].

---

[1] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص 55.

[2] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 211.

[3] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص ص 56 ، 57.

6 . حملة نابليون على الشام:

أحاط الحملة الفرنسية العديد من الأخطار الداخلية والخارجية، تمثلت في استمرار المقاومة التي كانت تواجهها والتحالفات الدولية، كما أنه قد وصلها بأن العثمانيون يقومون في بلاد الشام باستعدادات جهادية ضد الحملة الفرنسية في مصر بمساعدة الأسطول البريطاني المحاصر للشواطئ المصرية في الشمال.

ونتيجة لفشل سياسته التي كانت تهدف إلى أن تحدث شرخا بين الدولة العثمانية والمصريين، بدأ **نابليون** في تنفيذ سياسة جديدة، فكتب إلى ولاة دمشق وعكا وألبانيا، يعلمهم بأن سبب مجيء الفرنسيين إلى مصر رغبة منهم لمعاقبة المماليك لامتناعهم عن طاعة السلطان، وإقامة علاقة ودية مع الباب العالي وطلبه التعاون معه، إلا أنهم قد رفضوا. فكان عليه أن يواجه قوى التحالف الثلاثي في أوروبا بالإضافة إلى عداء الدولة العثمانية، فبدخولها الحرب تضاءلت أحلامه في إرسال حملة إلى الهند، واستبدلها بهدف أصغر وهو إرسال حملة إلى بلاد الشام، مستبقا الهجوم الذي من الشمال. والواقع أن هناك أسبابا عديدة قد أقنعت نابليون بغزو الشام قبل أن يبدأ أعداؤها بالهجوم عليها في مصر، وهذا لأن حكومة فرنسا بعثت لنابليون بعد أن أخفقت المساعي بينها وبين استانبول و كذلك بعد قطع المواصلات بين فرنسا ومصر وقيام التكتل الأوروبي بمضايقتها، بأن خيرته في تنفيذ أحد الخيارات الثلاث[1] :

[1] **محمد سهيل طقوش، المرجع السابق**، ص 312.

1. البقاء في مصر ودعم مركزه لتصدي الهجوم العثماني عليه.

2. التقدم نحو الهند ليجد شعبا على استعداد للتعاون معه ضد الانجليز.

3. الزحف برا إلى استانبول ليستبق عملية العدو التي تهدده.

إلا أن "نابليون" قد بلغه نبأ تقدم الجيش العثماني، بقيادة كل من "إبراهيم بك" و"أحمد باشا الجزار*" باتجاه الحدود المصرية، وسيطر الأخير على قلعة العريش، ومن ثم أصدر أوامره العسكرية و سيطر الجيش الفرنسي على العريش وخان يونس و غزة والرملة واللّد ويافا ثم كتب إلى **أحمد باشا الجزار** يدعوه فيها إلى وقف القتال. لكن الوباء تفشى بين جنوده في الوقت الذي كان فيه الجيش يوشك على استئناف الزحف إلى عكا، وأضعف قوته ازدياد تفشي المرض على جنوده[1]. لكن "نابليون" أكمل الطريق نحو عكا وضرب عليها حصارا استمر أربعة وستون يوما، تكبد فيها خسائر فادحة[2]. وأصدر بيانا إلى يهود العالم، مطلقا عليهم اسم الورثة الشرعيين لفلسطين لإقامة دولة يهودية في أرض فلسطين[3].

---

[1] **محمد سهيل طقوش، المرجع السابق**، ص 313.

[2] **عزت حسن أفندي الدارندلي ، المصدر السابق**، ص ص 22 ، 23.

***أحمد باشا الجزار**، ولد في البوسنة عام 1720م،باع نفسه لأحد تجار العبيد في القسطنطينية،ثم ذهب إلى مصر ودخل سلك المماليك،لقب بالجزار لقتله العربان في مصر،أكرمه "علي بك" على هذا العمل وعندما ساءت سيرته عاد إلى القسطنطينية،ثم التجأ إلى والي لبنان وفي عام 1773م جعله الأمير يوسف متسلما من قبله على بيروت،لكنه ثار على الأمير وصادق الظاهر عمر لكنه سرعان ما وقف مع الدولة ضده،فأعطي ولاية عكا فصيدا وسمي وزيرا،وتولى دمشق ثلاث مرات. للمزيد أنظر: **أمل بشور، مرجع سابق**، ص 66.

[3] **محمد علي الصلابي، المرجع السابق**، ص 396.

وقد أثار هذا الغزو المزيد من قلق الدولة العثمانية والدولة البريطانية، فبالنسبة للعثمانيين أدركوا أن الهدف من مهاجمة الفرنسيون هو مواجهة زحف القوات العثمانية لاستعادة سيطرتهم على مصر، أما البريطانيين فقد خشوا زحفهم برا من سوريا صوب الهند، حيث يمر بالفرات ودجلة ثم إلى مياه الخليج العربي التي سينتقل منها بسهولة إلى الهند، كما أن استيلاء فرنسا على سواحل الشام سيحرم الأسطول الانجليزي في البحر المتوسط على العديد من القواعد التموينية الهامة، وسيضعف حصارها للسواحل المصرية، غير أن الفرنسيين قد انهزموا عند أسوار عكا بمساعدة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط. وهكذا فشلت حملة "نابليون" على بلاد الشام[1].

7 . نهاية الحملة الفرنسية:

بالرغم من فشل حملة **نابليون** على سوريا، إلا أنه قد قام بمحاولة عقد صلات ودية مع بعض أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية والشام، ليسهل مهمة التقدم إلى الهند. ولإفشال المخططات البريطانية العثمانية المضادة، إلا أن خطابات **نابليون** لهم قد وقعت في أيدي البريطانيين، وهكذا أصبحت خطط فرنسا مكشوفة أمام بريطانيا فأخذت بالتحرك لإحباط خططها من أجل تعزيز مشروعاتها، مستفيدة من شعور الاستياء الذي شمل الديار الإسلامية[2]

---

[1] **جميلة العيسى، المرجع السابق**، ص 57.

[2] **نفسه:** ص ص 58 ، 60.

ضد احتلال فرنسا لمصر[1].

ولما رجع "بونابرت" إلى مصر اشتبك في معركة "أبي قير" البرية مع قوة عثمانية اتخذت طريقها من "رودس" إلى شواطئ مصر الشمالية وألحق بهم هزيمة في 25 يوليو 1799م، وكان من أهم نتائج هذه الموقعة حصول **بونابرت** من القائد العثماني الذي وقع في الأسر على معلومات تفيد بأن حربا عامة في أوروبا قد اندلعت ضد فرنسا، فغادر بونابرت مصر سرا إلى بلاده تاركا قيادة الحملة إلى الجنرال "**كليبر***"[2]، وحين تسلم القيادة كان الجيش ينقسم إلى ثلاث جبهات: أ . الحزب الاستعماري يصر على بقاء مصر كمستعمرة فرنسية.

ب . الحزب المتمرد بزعامة **كليبر** يرى أن الفشل قد حل بالحملة وأن بقاء فرنسا في مصر هو خطأ خاصة بعد الهزيمة في معركة "أبي قير".

جـ . الحزب المعتدل الذي كان يرى أنه لا ينبغي على الفرنسيين أن يتركوا مصر إلا إذا أرغموا[3].

---

[1] **جميلة العيسى، المرجع السابق** ص 60.

[2] **سيف الدين الكاتب،إبراهيم حلمي الغوري، المرجع السابق**، ص 107، للمزيد عن فرار نابليون أنظر: **عزت حسن أفندي الدارندلي، المصدر السابق**، ص 260.

[3] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 212.

***كليبر**، هو الجنرال الفرنسي،ولد في ستراسبورغ عام (1753م .1800م)، وتطوع في الجيش عام 1792م ثم أصبح قائدا لجيش الريف، وحكم مصر بعد رحيل بونابرت.للمزيد أنظر: **أمل بشور، مرجع سابق**، ص 76.

وعلى العموم فبعد رحيل بونابرت أقبل على تصريف الأمور بكل همة فأعاد تنظيم الحكومة وقسم القطر المصري إلى ثمانية أقاليم إدارية وأبقى الدواوين ونظم شؤون تحصيل الضرائب، غير أن **كليبر** في القاهرة رأى ما مدى السخط الذي أثاره رحيل بونابرت المفاجئ[1]، فبادر **كليبر** بالكتابة إلى الصدر الأعظم ينفي رغبة فرنسا في انتزاع مصر من تركيا، ويزعم أن أسباب الحملة على مصر تقتصر على إرهاب الانجليز وتهديد ممتلكاتهم في الهند وإرغامهم على قبول الصلح مع فرنسا، ثم طلب **كليبر** من الصدر الأعظم فتح باب المفاوضات من أجل جلاء الفرنسيين عن مصر، وقد جرت مفاوضات بالفعل في مدينة "العريش" في 24 يناير 1800م نصت على جلاء الفرنسيين عن مصر بكامل أسلحتهم وعتادهم وعودتهم إلى فرنسا، وعلى هدنة مدتها ثلاثة شهور قابلة للتمديد إذا لزم الأمر، يتم خلالها نقل الحملة وعلى الحصول من الباب العالي أو حلفائه . أي الانجليز و روسيا . على تعهد بعدم التعرض لجيش الحملة بأي أذى. غير أن الحكومة البريطانية عندما بلغتها أنباء مفاوضات العريش اتخذت موقفا من شأنه تعطيل اتفاقية العريش عن إبرامها، إذ كانت تخشى عودة جيش فرنسا المحاصر في مصر إلى ميادين القتال في أوربا، فترجح كفة الجيوش الفرنسية ويختل ميزان الموقف العسكري في القارة[2].

---

[1] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 212.

[2] **سيف الدين الكاتب،إبراهيم حلمي الغوري، المرجع السابق**، ص 107.

ولذلك عملت على أن يبقى الفرنسيون في مصر أو يسلموا أنفسهم كأسرى حرب، فأصدرت أوامر صريحة إلى القائد العام للأسطول البريطاني في البحر المتوسط برفض أي اتفاق أو معاهدة بشأن الجلاء عن مصر، إلا إذا نص على ضرورة أن يسلم الفرنسيون أنفسهم كأسرى حرب دون قيد أو شرط وأمام هذا التحول المفاجئ لم يجد **كليبر** مفرا من وقف عملية الجلاء التي كان قد بدأها تنفيذا لاتفاقية العريش، ثم اندلعت ثورة القاهرة الثانية التي استمرت نحو شهر، وردً **كليبر** على الثورة بدك القاهرة بالمدافع من كل جانب، مشددا الضرب على حي "بولاق" حيث تركزت الثورة، فاندلعت ألسنة النيران في كل مكان منه، والتهمت الحرائق عددا كبيرا من الوكالات والخانات والمساكن، فلما تولى مشايخ الأزهر الوساطة وأخذوا من "كليبر" الأمان للناس، غدر **كليبر** بهم، وازداد طغيانا فأعدم بعضهم وفرض المغارم على أهل القاهرة بكافة طبقاتهم. ولم يمض على إخماد ثورة القاهرة إلا شهرين حتى اغتيل **كليبر** في 24 يوليو 1800م بطعنة قاتلة من طالب أزهري شامي يدعى **سليمان الحلبي***. وربما كان للسلطات العثمانية يد في تدبير مصرعه. وبعد تشييع جنازة **كليبر** تم إعدام البطل **سليمان الحلبي** وثلاثة من رفاقه على مرأى الناس[1].

---

[1] **سيف الدين الكاتب،إبراهيم حلمي الغوري**، المرجع السابق، ص 107.

***سليمان الحلبي**،ولد سنة 1777م في قرية كوكان بالقرب من حلب،تعلم في الجامع الأزهر الذي تأثر بالشيخ الشرقاوي، فساهم في إشعال فتيل ثورة القاهرة الأولى،غادر إلى بلاد الشام مدة ثلاث سنوات ثم عاد إلى وطنه من جديد وانظم إلى مجموعة طلاب الأزهر،وأعلمهم بنيته على قتل "كليبر" في إطار تحرير مصر.للمزيد أنظر: **سيف الدين الكاتب،إبراهيم حلمي الغوري، المرجع السابق**، ص 109.

وآلت القيادة العامة للحملة إلى الجنرال **مينو** أكبر ضباط الحملة سنا، وكان من أنصار بقاء الحملة في مصر، ولما علم العثمانيون والانجليز بموت **كليبر** أنزلوا بأبي القير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال **أبركورومي**، في أوائل سنة 1801م سار القائد **منو** ليقاتلهم، لكنه انهزم أمامهم ورجع ليتحصن في الإسكندرية لكن الانجليز قطعوا عليه الطريق، ثم سار الانجليز والعثمانيين نحو القاهرة فحاصروا باقي الفرنسيين فيها تحت قيادة **بليار** فرأى هذا القائد بأنه لا مفر من أن يسلم نفسه، لذلك اتصل بالقائدين العثماني والانجليزي وطلب منهما إخلاء وادي النيل بشرط أن يخرج الفرنسيين بأسلحتهم، فوافقا على طلبه فأخلى المدينة في 28 يونيو 1801م وخرج بجميع أسلحته وجنوده مستقلا السفن نحو فرنسا، أما القائد **منو** بقي محاصرا في الإسكندرية إلى أن استسلم في 1 سبتمبر 1801م وخرج ومن معه باتجاه فرنسا على متن سفن الانجليز[1].

وبهذا تم جلاء القوات الفرنسية من مصر ورجوعها إلى سيادة الدولة العثمانية، بعد أن اقترف الجيش الفرنسي وحشية متناهية، وتم خروج الحملة الفرنسية من مصر نهائيا في أكتوبر 1801م[2].

[1] **وديع أبو زيدون، المرجع السابق**، ص 217.

[2] **زاهية قدورة، المرجع السابق**، 373.

8 . أسباب فشل الحملة:

لقد تحطمت أحلام **نابليون بونابرت** من خلال حملته على مصر وهذا لعدة أسباب تمثلت فيما يلي:

_ أعتبر حملته في نظر المصريين، والمشرق الإسلامي ككل حملة صليبية فأصبحت هذه الحملة تعيش في أرض معادية كثيرة الثورات ضد الجنود الفرنسيين.

_ لم تصدق السلطات العثمانية تبريرات حكومة الإدارة بشأن إرسال القوات إلى مصر لمجرد ضرب المماليك الذين كانوا يظلمون التجار الفرنسيين.

ولذلك ما إن انتصر **نلسن** قائد أسطول بريطانيا في البحر المتوسط على الحملة الفرنسية في موقعة أبي قير البحرية وتحطيم أسطول فرنسا، حتى أعلن سلطان الدولة العثمانية الحرب على فرنسا متحالفا مع انجلترا وروسيا، ومن ثم دخلت النمسا الحرب معهم ليتكون التحالف الدولي الثاني ضد فرنسا.

_ محاولة **نابليون** التوغل إلى ما وراء فلسطين ففشل أمام أسوار عكا، وبقيت الحملة الفرنسية محاصرة فيها[1]. _ سيطرة الانجليز البحرية في البحر المتوسط[2].

---

[1] **عبد العزيز سليمان نوار،محمود محمد جمال الدين، مرجع سابق**، ص 297.

[2] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 217.

_ تشديد الحصار على الشواطئ المصرية مما أعجز الحكومة الفرنسية عن إرسال النجدات والإمدادات إلى جيش الشرق في مصر وانضمام الدولة العثمانية إلى أعداء فرنسا.

_ الانقسام الذي حدث في صفوف حملة **نابليون** حيث ظهرت بوادره منذ أن بدأ جيشه في الزحف الشاق من الإسكندرية إلى القاهرة، ثم استفحل بعد رحيل **كليبر** وإبان قيادة **مينو** للحملة.

_ كفاح الشعب الذي تمثل في ثورتي القاهرة الأولى والثانية والثورات التي أشعلت في الدلتا والمقاومة التي اشتدت في الصعيد، ودون أي شك كان لمقاومة المصريين للحكم الفرنسي الأثر الكبير في زعزعة أركانه وفي عجز الفرنسيين في بلوغ غاياتهم وتنفيذ أغراضهم وانهيار أملهم في تشييد تلك المستعمرة الجميلة التي لطالما حلموا بأن يتخذوها كنواة لإمبراطوريتهم الاستعمارية الجديدة في الشرق[1].

وكذلك فإن ما ساعد على فشلها، موقف بريطانيا والجهود التي بذلتها في أوروبا والشرق الأوسط لإخراج الحملة، واشترك السلطان في المجهدات الحربية التي قامت بها انجلترا لطرد الفرنسيين، وحشد جيوشا كبيرة على الحدود الشرقية واستغل نفوذه الديني وسيطرته الروحية على المصريين، كما قضى على تجربة الفرنسيين في فهم تلك الشعوب التي جاءوا لحكمها[2].

---

[1] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص ص 217 ، 218.

[2] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المرجع السابق**، ص 119.

واستهتارهم من الناحية الأخلاقية بعادات القوم وتقاليدهم، ولقد كان المجتمع المصري في ذلك الوقت مجتمعا دينيا ونظر الشعب إلى السلطان العثماني على أنه سلطان الإسلام، ولذلك امتزجت العاطفة القومية في ذلك الوقت بالعاطفة الدينية بحيث كان يصعب الفصل بينهما[1].

9 . نتائج الحملة :

أ . نتائجها بالنسبة إلى مصر:

رغم أن الاحتلال الفرنسي كان قصيرا وغير ناجح فقد كان حادثة مهمة مشحونة بنتائج كثيرة بالنسبة لمصر.

فبعد رحيل الفرنسيين، حصل تسابق بين المماليك والعثمانيين وتلكأ الانجليز بإخراج جيوشهم من مصر، إلا أنهم قد خرجوا بعد إلحاح العثمانيين والفرنسيين عليها وهذا حسب ما كان متفق عليه من قبل[2].

كما أن هذه الحملة مهدت للقضاء على النظام العثماني المملوكي في مصر وزعزعت الدعائم العسكرية والسياسية لهذا النظام بإضعاف عنصرين أساسيين : السيطرة العثمانية، والاستبداد المملوكي، حيث كان المصريون لا يشكون قبل مجيء الحملة في قوة السلطنة[3]

---

[1] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والماصر، المرجع السابق**، ص 119.

[2] **جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق**، ص121.

[3] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 220.

العثمانية وبقوات المماليك وقدرتهم على حماية بلدهم فإذا بهم يرون مدافع الفرنسيون وقد عصفت بهم عاصفة فتسرب الشك في نفوسهم في قوة النظام .

هزت الحملة المفاهيم الفكرية والاجتماعية التي كان المجتمع المصري يخضع لها في القرون السابقة، ومهدت بذلك لحركة الانقضاض عليها والعمل على تغييرها. كما نجحت في توجيه أضواء العلم الحديث إلى ماضي مصر وحاضرها بفضل الدراسات التي قام بها علماؤها، فقد عاش هؤلاء في مصر عيشة دأب وبحث وتنقيب وانتشر أفرادها وجماعاتهم في طول البلاد وعرضها يدرسون آثار البلاد القديمة وتاريخها.

فتحت الحملة حقبة طويلة من التنافس الاستعماري الفرنسي الانجليزي على مصر، وهو تنافس عرف في التاريخ باسم "المسألة المصرية"[1].

وهكذا انتهت هذه العزلة التي عاشها الشرق العربي، فقد كشفت هذه الحملة عن أهمية الموقع الاستراتيجي الذي تحتله مصر والبلدان العربية في كل من آسيا وإفريقيا وفتحت عقبة من الصراع الحاد والتنافس المرير بين الدولتين "فرنسا وبريطانيا"، فكان لهما الأثر الواضح على بلدان الشرق الأوسط كلها، ومما زاد في حقبة هذا الصراع والتنافس ارتباطه الوثيق بالموقف المتأزم في أوروبا بينهما[2].

---

[1] **إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق**، ص 220.

[2] **جلال يحي، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق**، ص 23.

لقد أيقنت الحكومات البريطانية في القرن التاسع عشر بأنه من الضروري أن يسيطر على مصر حاكم تربطه بانجلترا روابط الصداقة حتى لا تترك مصر بأي ثمن للفرنسيين.

وبذلك افتتحت الحملة الفرنسية مرحلة طويلة من التنافس الإنجليزي والفرنسي اختتمت بالاحتلال البريطاني لها عام 1882م.

ومن ناحية أخرى مهد الاحتلال الفرنسي الطريق لحدوث تغييرات بدلت شكل مصر في خلال القرن التاسع عشر، وليس من الصواب أن تنسب إلى الاحتلال الفرنسي مباشرة تلك الميول الفرنسية القوية التي أثرت في الثقافة المصرية، والتي برغم التقلبات السياسية المختلفة ما نزال نلحظها حتى الوقت الحاضر فالأدباء والعلماء الذين صحبوا "بونابرت" جاءوا إلى مصر ليتعلموا أكثر من أن يعلموا[1].

كما أن بحوثهم التي نشرت في كتاب وصف مصر (Description de l'Egypte) وهي أول موسوعاتها الحديثة[2].

---

[1] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والماصر، المرجع السابق**، ص 119.

[2] **Déxription de L'Egypte: recueil Des observations et des Rechercher Qui ont été faites en Égypte pendant L'expédition de L'armée français** , 12 Vols , imprimerie impériale , (paris ; 1809).

كانت أساس البحث العلمي الحديث في كل ما يخص التاريخ والمجتمع والاقتصاد المصري، وعمل هؤلاء العلماء عند مجيئهم إلى مصر على بحث ودراسة أحوال مصر من جميع النواحي[1]. فقاموا بدراسة التربة والمناخ والمنتجات الزراعية والمعدنية وإمكانيات مصر المختلفة وما ضمته من آثار وغير ذلك، وكان الهدف من نشر الكتاب هو نشر المعرفة ورفع اسم فرنسا. كان أول أجزاء هذا الكتاب عام 1809م وكتب الإهداء باسم الإمبراطور "نابليون". و يقابل هؤلاء العلماء في مصر المشايخ وعلماء الدين، فحاول العلماء الفرنسيون استمالتهم واطلاعهم على ما حوته أبنية المجمع العلمي المصري الذي أسسه بونابرت، ولكنهم لم يتقبلوا هذا التقدم العلمي وحركة الاستنارة بل أعرضوا عنها، وساعدهم على ذلك أيضا إيمانهم بأن الثقافة الأوروبية قد جاءت مع جيش غاز وكافر[2]. وعلى ذلك فان الغرس الحقيقي للثقافة الفرنسية في مصر يمكن إرجاعه إلى عصر **محمد علي**، إذ دخلت أفكار فرنسية كثيرة إلى مصر في خلال حكمه على أيدي رجال من أمثال **دروفتي** قنصل فرنسا في مصر، و**منجان** والضباط الفرنسيين الكثيرين الذين بقوا في مصر بعد انسحاب الفرنسيين أو عادوا [3]

---

[1] **Gregory Fremont Barnes social, and Military History , The Encyclopedia Of The French Revolutionary.and Napoleonic Ware: Apolitical** ,(California: A B C.CLIO ; 2006), P 42.

[2] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والماصر، المرجع السابق**، ص 122.

[3] **Bernard Bourgeois. Et .Jacques D'hondt, La Philosophies et La Révolution Française** ,(France : Librairie Philosophique .J. Vrin ; 1993), P 251.

إليها فيما بعد اثر سقوط **نابليون**، كما أتت المؤثرات الفرنسية إلى مصر في عهد **محمد علي** مع البعثات التعليمية إلى فرنسا التي كان يشرف عليها **جومار** أحد علماء الجامعة الفرنسية[1].

وكانت جامعة "السان سيمونيون" الذين داعبت أحلامهم فكرة المزاوجة بين الشرق والغرب بإنشاء قناة عبر برزخ السويس هم ورثة مهندسي الحملة الفرنسية الذين قاموا بعمليات مسح دقيقة لمصر.

وهكذا فان الحملة الفرنسية أكدت الاهتمام الفرنسي بمصر أكثر من الاهتمام المصري بفرنسا. أي أن ما حققه الباحثون هو تقديم مصر للغرب، أكثر من التأثير في المصريين.

وإذا كانت الحملة الفرنسية قد أثرت على مستقبل مصر السياسي في القرن التسع عشر فإنها أدت أيضا إلى ازدياد نشاط بريطانيا في الشرق الأوسط، فلقد أحدثت الحملة الفرنسية رد فعل مباشر على منطقة الخليج العربي وأصبح التنافس السياسي والحربي بين بريطانيا وفرنسا هو الموجه لتاريخ هذه المنطقة لعدة سنوات مقبلة[2].

ويمكن تلخيص النتائج الأخرى التي ترتبت على هذا التحدي الذي واجهته الدولة العثمانية

---

[1] **Bernard Bourgeois. Et .Jacques D'hondt, OP CIT**, P 251.

[2] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والماصر، المرجع السابق**، ص 124.

وكانت له انعكاسات على الأراضي العربية في مطلع القرن التاسع عشر على النحو التالي:

1. شجعت الحملة الفرنسية بريطانيا على إتباع السياسة التي ظلت متمسكة بها طوال الثلاثة أرباع الأولى من القرن التاسع عشر وهي سياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية.

2. أثرت الحملة في تغيير طبيعة العلاقات بين بريطانيا والدولة العثمانية، فكانت العلاقة القائمة بينهما تجارية بحتة، وكانت سياسة بريطانيا نحو الدولة العثمانية تتحدد بالمصالح التجارية البريطانية في أنحاء الدولة العثمانية، أما بعد الحملة فقد قفزت العلاقات السياسية إلى مركز الصدارة.

3. أدت الحملة الفرنسية إلى تدخل بريطانيا السياسي في منطقة الخليج العربي، كما عملت انجلترا على إقامة علاقات صداقة مع كل من سلطنة عمان والعراق، لقد حاول **نابليون** عام 1799م التحالف مع سلطان عمان ضد بريطانيا لكنه فشل.

4. نجحت مهمة المبعوث البريطاني **هارفورد جونز** في ضمان وقوف والي بغداد بجانب بريطانيا في النزاع الذي انتقل إلى الشرق الأوسط، حيث أن ولاة بغداد كانوا يتمتعون بشيء من الاستقلال[1].

[1] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والماصر، المرجع السابق**، ص 124.

وساعدت الظروف **جونز** على كسب صداقة "سليمان باشا" والي بغداد (1780.1802م) الذي كان في أشد الحاجة إلى أسلحة انجليزية لوقف خطر الوهابيين الذين بدأوا يغيرون على جنوب العراق. وهكذا أخذت قدم الانجليز تثبت في العراق فتحولت شركة الهند في بغداد إلى مركز ثابت يقيم فيه مندوب دائم تحولت بعدها إلى قنصلية دائمة في عام 1802م .

ومع مطلع القرن التاسع عشر قد دخلت المسألة الشرقية في دور جديد هو أخطر أدوارها وأكثرها صلة بالشرق الوسط، فقد بدأ الضغط الأوروبي الذي كان واقعا على البلاد المسيحية في الدولة العثمانية يتجه نحو مضيقي البوسفور والدردنيل فحسب، يتسع ليشمل بلادا إسلامية عربية، ويمتد إلى شرقي البحر المتوسط بهدف إحياء الطريق البري واحتكار تجارة الشرق، وقد قامت حملة نابليون بهذا الدور خير قيام وخلقت هذه الحملة في تاريخ المسألة الشرقية ما يعرف بالمسألة المصرية ودفعت بدول أخرى إلى ميدان التنافس الدولي. فقد كان الضغط يقع على الإمبراطورية العثمانية في الغرب من جانب روسيا والنمسا، أما بعد الحملة الفرنسية فقد أخذت الدول الأوروبية الأخرى مثل انجلترا وفرنسا وألمانيا تدخل تباعا في هذا النطاق الشرقي من الإمبراطورية العثمانية. وتعد الحملة الفرنسية تحديا الإمبراطورية العثمانية لأنها كانت انقلابا خطيرا في تاريخ العلاقات الفرنسية العثمانية التي ظلت وطيدة الأركان منذ أن وقَعت معاهدة الامتيازات الكبرى عام 1535م بين **فرانسوا الأول** ملك فرنسا والسلطان **سليمان القانوني**[1].

[1] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والماصر، المرجع السابق**، ص 124.

وقد ذعر الباب العالي من الحملة الفرنسية، وخشي أن تكون بداية مشروع أوروبي عام لغزو أملاك الإمبراطورية العثمانية، ولكن موقف بريطانيا من الحملة أشعره بالطمأنينة والارتياح.

ومن ناحية أخرى أثرت الحملة على العلاقات الروسية – العثمانية[1].

فقد خافت روسيا من أن تنفرد فرنسا بتسوية المسألة الشرقية لحسابها، فأظهرت صداقتها للدولة العثمانية لتحقيق هدفين في آن واحد أولهما مقاومة مشروعات التوسع الفرنسي، وثانيهما بسط نفوذها على الباب العالي تحت شعار الصداقة الجديدة[2].

ب . نتائجها بالنسبة إلى فرنسا :

عاد **نابليون بونابرت** بعد هزيمته في موقعة أبي قير البحرية وأمام أسوار عكا، وبعد انتصارات دول التحالف الأوروبي الثاني الذي تزعمته انجلترا ضد فرنسا في أوروبا، والذي وضع حكومة الإدارة في خطر بعد تشكيل هذا التحالف الجديد ضد فرنسا، والذي استطاع إنزال هزائم عديدة بالجيش الفرنسي[3]، هذه الأحداث جعلت **نابليون** يعود إلى فرنسا لعله يستطيع إنقاذ فرنسا مرة أخرى من أعدائها. إلا أن مجرد الحديث عن **نابليون** قاهر النمسا في ايطاليا، وفاتح مصر كان كفيلا بأن يطغى على حقيقة فشله التي عرفتها الحملة الفرنسية على مصر منذ أيامها الأولى[4].

---

[1] **عمر عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والماصر، المرجع السابق**، ص ص 124 ، 125.

[2] **نفسه**، ص 127.

[3] **راغب العلي وآخرون، مرجع سابق**، ص 50.

[4] **عبد العزيز سليمان نوار،محمود محمد جمال الدين، مرجع سابق**، ص197.

فالشعبية التي قد حضي بها مهدت له الوصول إلى الحكم على أنقاض حكومة الإدارة التي أثبتت عجزها حتى على المحافظة على الفتوحات التي قد قام بها "نابليون بونابرت" خلال فترة تواجده في مصر[1]، وعندما وصل إلى باريس في 13 أكتوبر 1799 كانت الاستعدادات لتنفيذ الانقلاب قد اكتملت، ففي 9 نوفمبر اجتمع مجلس الشيوخ وقرروا نقل الهيئة التشريعية إلى "سان كلو" وعهد **لبونابرت** بقيادة القوات العسكرية بباريس وما حولها لدفع الخطر الموهوم. وهناك قد أرغمت حكومة الإدارة على الاستقالة وتولى **بونابرت** تطهير المجلسين المعارضين بحجة أنهم صنائع الانجليز، ودخل الجنود بسلاحهم يترأسهم الجنرال **مورا** والجنرال **لوكلير** ليطردوا هذه العصابة بناءا على أوامر "بونابرت". ثم أصدر الباقون قرارا بتأليف حكومة مؤقتة لإدارة شئون البلاد إلى أن يتم وضع دستور جديد، عهد أمره إلى لجنة من المجلسين تحت إشراف الحكومة المؤقتة عرف هذا الانقلاب "بانقلاب بريمير" في 10 نوفمبر 1799م تقرر فيه إلغاء حكومة الإدارة وإنشاء "لجنة قنصلية تنفيذية" مؤلفة من **سيس** و**روجيه ديكو** و**بونابرت**، على أن يمارس هؤلاء الثلاثة سلطة الإدارة، وحلف القناصل الثلاث يمين الولاء أمام مجلس شيوخ الجمهورية التي لا تتجزأ وللحرية والمساواة وللنظام النيابي[2].

---

[1] **عبد العزيز سليمان نوار،محمود محمد جمال الدين، مرجع سابق**، ص ص 297 ، 298.

[2] **عبد العظيم رمضان، مرجع سابق**، ص ص 415 ، 416.

وبذالك كان قد انتهى عهد حكومة الإدارة وبدأ "عهد القنصلية" التي كانت إنهاء للثورة الفرنسية، وتعهدت هذه السلطة في المدة الأولى إلى **نابليون بونابرت** 1799-1804م[1].

[1] **عبد العظيم رمضان، المرجع السابق**، ص 416.